العرب
الثلاثاء 2020/07/14
السنة 43 العدد 11761

ثورة على القهر النسائي في عرضين مسرحيين بالقاهرة

«حريم النار» و«صبايا الكحل».. نسوة أعدم الانتظار أنوثتهن

الرجل يتحول إلى عورة وليس المرأة

تعـرض مسـرحيتا "حريم النـار" و"صبايا مخدة الكحل" بشـكل متتال علىٰ مسـرح الطليعة في مصر، لتعطيا دورا مكملا لبعضهما البعض في التعبير عن الآلام والأحاسـيس المكبوتة لنساء يتعرضن لانتهاك حقوقهنّ، وتأثيراتها النفسـية، انطلاقـا من أن ظلم ذوي القربىٰ أشـد مرارة علىٰ النفس من وقع السيف الباتر.

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

القاهـرة – تتعـدّد أطياف القهر التي تتعرّض لها النساء في مجتمعاتهن، بين قهـر مصحـوب بالفقر وآخـر بالخوف، وثالـث بالجهل، لتعيـش المرأة وتموت دون أن تشعر بالأنوثة داخلها، أو تتذوّق جمال الدنيا ولذّاتها، تتسـرّب من قلبها مشـاعر الحب حتـىٰ يتحجّـر، وتنطفئ مشـاعر الأمومـة المتّقـدة داخلهـا مع تقدّمها في العمر.

تصدّر القهر الأنثوي اهتمام مسـرح الطليعـة، التابع للبيت الفني للمسـرح بمصر، بعرضين مسرحيين "حريم النار" و"صبايا الكحل" اللذين يناقشان أنماطا من الظلم للنسـاء بين القهر "النسـائي النسـائي" بانتهاك المرأة لحقوق بنات جنسـها ومنعهـنّ من أبسـط حقوقهنّ، والقهر الذكوري المتكـرّر في مجتمعات تُعلي قيمة الرجل، وتمنحه سلطة التحكم والهيمنة سواء كان أبا أو أخا أو زوجا.

وتجمـع بيـن العرضيـن اللذين تم اختيارهما كباكورة للعودة للنشـاط بعد توقف اسـتمر مئة يوم بسـبب كورونا، السلطوية المعنوية التي تمارس أقصىٰ صنـوف الظلم للمرأة بحرمانها حتىٰ من الحب والـزواج ما يؤثر علـىٰ نضارتها سـلبا، وتتخشّـب أنوثتها علـىٰ طاولة الانتظار، بحجة عدم تناسـب المتقدّمين لخطبتهـا مـع مسـتواها الاجتماعـي أو الاقتصـادي أو طمعـا فـي إرثهـا المستقبلي.

حرمان عاطفي

في "حريـم النار"، بطولـة مجموعة من الوجوه الشـابة، يعيش الجمهور في أجواء صعيديـة (عـادات أهالي جنوب مصـر) صرفة لمجتمع نسـوي من خلال امرأة تتسـيّد منزلها، تتحكّم في مصير بناتها الخمـس وفوقهنّ خادمة، تتعامل معهـنّ كقطعـة أثـاث وترفـض أن ترى أعينهـنّ الشـارع، حتـىٰ بلغـت ابنتها الكبرى رسمية 39 عاما دون زواج، بينما تخطّت الصغرى حاجز العشرين.

وفي أسرة يسودها الحرمان العاطفي تعيـش الفتيـات وكل واحـدة منهـنّ تحلم بشـيء وتبحث عنـه، ترتدي روح محبات دمية طفـل صغير يذكرها بابنها المسـتقبلي، وترقص رسمية لنفسها في انتعـاش لتتذكّر بأنها لا تزال قادرة علىٰ أن تكـون امرأة، وترتـدي رابعة ملابس نوم كاشـفة أمام المرآة وتضع مسحوقا للتجميل لتذكّر نفسها بأنها أنثىٰ.

يخلـق العمل الذي كتبه المسـرحي شـاذلي فـرح مقتبسـا فكرته مـن قصة للمؤلف الإسـباني غارسـيا لـوركا مع تمصيرهـا، رابطة بين القهر النسـائي والمعتقـدات الفكريـة المعيبـة لمـن يمارسـه، فـالأم فتحية شـلجم ترى أن الفقـراء "بهائـم" خلقهم اللـه من طينة مغايرة للأغنياء، وحين يمرضون يمكنهم التعافي بوجبة لحوم وطبق سـاخن من الأرز، لا تنفي تكبّرها فهي ثرية ذات أصل يمنع أي فضيحـة من الخروج بعيدا عن منزلها.

وتخلق المسرحية صراعا أنثويا منذ لحظتها الأولىٰ بوفاة زوج فتحية شلجم الذي ترك وصية يمنح فيها ابنتها الكبرى من زوجها الأول حصة من الميراث مثلها مثل بناته، لتصبح أغنىٰ منهنّ لامتلاكها ميراثـا مـن والدهـا الحقيقـي، لتجذب بثروتها المسـتجدة أوسم شباب النجع أحمد علـي الذي يصغرها بنحو 14 عاما فيتقدّم لخطبتها وسط غيرة شقيقاتها.

وهنـا تصبـح الصـورة معاكسـة للحيـاة، فالرجـل هـو مصـدر للإغواء وليس المرأة كالمعتـاد، هو الذي فرض حبائلـه علـىٰ الشـقيقات المحرومـات عاطفيـا، لتقـول إحداهـنّ إنها تعشـقه "عشق الفراشات إلىٰ النور"، أو بالأحرى الحريـة، ليوقع ثلاث من أصل خمس في حبائله، وتنقل بين نوافذ المنزل ليحدّث كل واحـدة منهنّ من وراء حجاب قبل أن تتطوّر به الجرأة لمعاشـرة إحداهنّ في حظيرة الماشية.

تجد السلطة ممثلة في فتحية شلجم التي اعتـادت علىٰ ترديد مقولـة "أنا لا أفكـر.. أنا أؤمر"، نفسـها فـي مأزق مع تصـارع بناتها علىٰ الرجـل الأول الذي يطـرق بـاب المنـزل، إحداهنّ تسـرق صورته وتخفيها وبنتها الصغرى تمنحه جسـدها دون زواج، لتقتـل الصغرى في اشتباك معها، وتنهار كاشفة عن أسباب ميراثهـا القديم مـن النار التـي حرقت قلبها وأحرقت قلوب بناتها.

تمثل الثورة الحل أمام الفتيات الأربع بعد مقتل الشـقيقة الصغرى وإعلان الأم الحداد سبعة أعوام يرتدين فيها الأسود دون فتح نوافذ أو رؤية الشـارع مجددا، تنتفض الشـقيقات ويخلعن ملابسـهنّ، وتلقيهـنّ علىٰ وجه القتيلة ليتمرّدن علىٰ الواقع وسـنوات الانتظـار الطويلة في حجرات كالسـجن تمارس فيها الخادمة الصغيرة دور الأم المتسلطة.

قصة مكملة

تدور في الفلك ذاته مسرحية "صبايا مخـدة الكحـل"، "الريبرتـوار" الذي تم إحيـاؤه مـن رحم عرض مسـرحي قديم فـي نهايـة التسـعينات باسـم "مخدة الكحل" مـع تقديمه في صـورة عصرية عبر المدرسة البوليفونية المعتمدة علىٰ تعدّد المواقف والأفكار كثرة الشخصيات والـرواة والقائمين بالسـرد، وكلها من العنصر النسائي باسـتثناء رجل واحد فقـط يمثل الهيمنة علـىٰ مجتمع المرأة، مع دمجه بأداء حركي وتعبيري راقص.

يجمـع بيـن المسـرحيتين توريث القهـر النسـائي، ففي "حريـم النار" لم تكـن فتحية شـلجم في الماضي سـوى فتـاة رقيقة تم الدفع بها في عمر 15 عاما للزواج من رجل يكبرها بـ40 عاما، انتهك آدميتهـا وجرعهـا الحرمـان العاطفـي والجسدي وحينما مات وتحرّرت، وجدت نفسـها تحت ضغط أسرتها في أحضان آخر لديـه المواصفات ذاتهـا من أطيان وممتلكات.

كانـت الجـدة فـي "صبايـا مخدة الكحـل" الـذي وضـع رؤيتـه الفنيـة وإخراجـه انتصار عبدالفتـاح، نموذجا للقهر فتتحدّث عن مآسـيها في الماضي باسـتمرار وفي الوقت ذاتـه تريد فرض الميراث ذاتـه علىٰ حفيداتها تصوّر لهنّ أن جمالهـنّ خلق خصيصا لصالح متعة الرجل وأوعيـة لإنجاب أطفاله وتربيتهم واسـتمرار اسـمه ونسـله في الوجود، مع دلالات بأن القهر ذاته سـوف يتسرّب في المسـتقبل إلىٰ الأجيـال القادمة عبر فتـاة راقصة تداعب دميتهـا وتخاطبها بأسلوب عنيف يحمل قسوة وتنفيسا عن غضب مكتوم.

ويعرض العمـل، الذي تقوم ببطولته الفنانة الشـهيرة سـميرة عبدالعزيز في دور الجـدة، قضايا شـديدة التعقيد في قالب نسائي، له خصوصية ترمز للجمال الأنثوي والدميـات الصغيرة التي تقطن الجانب الطفولي في المرأة، مهما كبرت، تجمـع بينهنّ عـادات واحدة في طقوس الاسـتعداد للزواج من الزينة اسـتعدادا لحفل الحناء أو الزفاف.

وتصنع المسـرحية تصنيفا لعشـر فتيات يشاركن في بطولتها كراقصات أو ممثلات في ثلاثة نماذج رئيسـية ما بين المتمـرّدات علىٰ العـادات والتقاليد، أو مسـلوبات الإرادة التي تسير وفق قيود المجتمع، أو الخجولات المعزولات علىٰ نفسـها التي تغطي نفسـيتها المأزومة بوجه مصطنع.

ويقدّم العمل الذي شارك فيه ممثلون مـن السـودان بشـكل تعبيـري يصلح لتقديمـه في أي مكان في الوطن العربي، باعتمـاده علـىٰ مزاوجات بيـن الحوار التقليـدي والرقـص والغنـاء الفـردي والجماعـي، وهجيـن مـن الموسـيقىٰ المتداخلة المنسجمة مع تنقلات الحالات النفسية، وتوظيفها لمنح دلالات معنوية كاسـتخدام آلات النفـخ مـع الصـوت الذكـوري لمنحـه المزيـد مـن التفخيم والوجاهة الاجتماعية.

ويمتاز "صبايا الكحـل" بثراء كبير فـي توظيـف ملابـس الممثليـن التي طغىٰ عليهـا الطابع الفلكـوري لمنطقة الواحات بمصـر، فالراقص الوحيد جاء عاريا بوشم ظاهر لكلمة أمي علىٰ ذراعه اليمنىٰ لتحمل معها دلالات ملتبسة، ربما في دلالة علىٰ دور المرأة في سـتر الرجل أو كهجـوم مبطن بتوظيف قضية المرأة ظاهريا دون إيمان عميق نابع من الداخل بأهميتها ورسالتها.

«حريم النار» تعالج قهر المرأة لبنات جنسها، من خلال أم تتسيد منزلها وتتحكم في مصير بناتها الخمس وفوقهن خادمة

ويحمـل العمـل مسـاحات عاليـة مـن الترميز فـكل قطعة ديكـور أو أثاث تتضمن دلالة، بماكينة الحياكة التقليدية التي تشـبه آلة زمن تتنقل بين الماضي بذكرياتـه الأليمة والحاضـر بصعوباته وآلامه والمستقبل المرهون بيد الفتيات الجالسـات في صمت في غالبية العمل، والأوانـي النحاسـية الضخمة ومعدات تقطيـع أعشـاب الملوخيـة، دلالة علىٰ أعباء المرأة المنزلية من الغسيل اليدوي والطهـي، والمكحلـة هي رمـز للجمال الأنثوي منذ الفراعنة وحتىٰ الآن.

يظـل القهر البشـري مترسـخا منذ نشأة البشرية، لكنه يحمل طابعا أنثويا، يحتـاج إلىٰ من يناضل مـن أجله أو إلىٰ من يتمـرّد عليـه مثل فتيات مسـرحية "حريـم النـار" ويجعلن الأحـلام التي لا تعرف حـدودا صهوة جـواد يهربن بها إلىٰ الأفضـل، أو أن يعتبرن أجسـادهنّ سـاحات تعبيرية يتحرّرن بها نفسيا من القيود والعادات البالية.

«الذاكرة» جديد الثنائي التونسي الصنهاجي وبوزويتة

تونـس – يسـتعد الثنائي المسـرحي التونسي سـليم الصنهاجي في الإخراج وصباح بوزويتـة في الكتابـة والتمثيل لتقديـم مسـرحية جديدة إثـر غياب عن الخشـبة جـاوز العقـد من الزمـن. فبعد "سـاعة حـب" (2001) و"رقصـة الموت" (2003) و"الصف" (2004) و"طائرالمينرفا" (2007) و"سفر" (2009) تأتي "الذاكرة" في سادس تعاون فني بينهما.

والنـص الذي كتبته صبـاح بوزويتة علـىٰ امتداد سـت سـنوات، تناولت فيه تقلبات الأوضاع السياسـية والاجتماعية والاقتصادية في تونس منذ ثورة 14 يناير 2011 وحتىٰ الآن.

ويؤكّـد الصنهاجـي أن المناخ العام للعمل المسـرحي الجديد يشـبه إلىٰ حد كبيـر عوالـم عمله السـابق "سـفر" في العديد من الجوانـب، أولها اعتماده علىٰ ثلاثـة ممثلين علىٰ الخشـبة وهم صباح بوزويتـة ورضـا بوقديـدة وعلاءالديـن أيوب، كما تميل المسرحية إلىٰ السخرية السـوداء في خوضها للثورة التونسـية وانعكاساتها علىٰ الشأن العام.

ومسرحية "سـفر" التي عرضت لأول مـرة فـي العـام 1999 عن نـص لصباح بوزويتـة وإخـراج لسـليم الصنهاجـي وتمثيـل كل من صبـاح بوزويتة ونعمان حمدة والهادي عباس، ثم عوضه في العام 2009 سـفيان الداهـش، تقـوم علىٰ ثلاث شخصيات مرتضىٰ وكنزة والطرودي.

شـخوص دخلت سـن الكهولة وغدت تجد نفسـها في معرفة المصير الضبابي فأحالت واقعها إلىٰ قلق وتوتر ونسيان، لا تدري ما تفعل. شخصيات ترتد إلىٰ ذاتها وتقف عند المرايا المهمشة للنفس، تلتقي حينـا وتتنافر أحيانا ارتضت القلق حتىٰ أصبح شيئا منها.

ومن المنتظر أن يكـون العمل جاهزا للعرض مع بداية الموسـم الثقافي القادم 2020 /2021، أي في شهر سبتمبر المقبل.

دار الشعر بمراكش تمزج فن القول بالمسرح والفرجة

مراكـش (المغرب) - شهدت دار الشعر بمراكش مؤخرا اسـتدعاء لفضاء ساحة جامع الفنـان مصغرة، لكن هذه المرة في حوار شعري مسرحي استثنائي عبر فقرة "حكواتيون شعراء".

و"حكواتيون شـعراء" فقـرة جديدة أطلقتها دار الشـعر بمراكش بعد "شعراء تشـكيليون"، مثّلت لحظة شـعرية وفنية استثنائية التقىٰ خلالها التراث الشفاهي الإنساني بالشعر.

كما شـكلت فضـاء لتلاقـي التعبير الإبداعـي، في أرقىٰ تجلياته، حيث امتزج الشـعر بالمسـرح والأداء الفني والفرجة الشـعبية بفنون القول. كل هـذا، في ظل حرص دار الشـعر بمراكش علىٰ تجسـير التباعد الاجتماعي بين الشـعراء والنقاد والفنانيـن والمتلقي شـعريا، عبر إطلاق العديد مـن الفقرات الشـعرية والندوات النقدية من بوابة منصاتها التفاعلية.

وفـي "حكواتيـون شـعراء" التقـىٰ أحد رواد فن الحلقة بسـاحة جامع الفنا وأحـد أشـهر الحكواتييـن المغاربـة، الفنـان عبدالرحيم المقـوري (المعروف بعبدالرحيـم الأزليـة) وابنتـه الفنانـة حجيبة المقـوري (الأزلية)، وإلىٰ جانبهم الفنان المسـرحي والسـينمائي الشاعر السعيد بوخالد.

فقـرة اسـتثنائية، قال عنها الشـاعر عبدالحـق ميفرانـي، مديـر دار الشـعر بمراكـش، "تحـوّل فضـاء دار الشـعر بمراكـش إلىٰ سـاحة مصغـرة من جامع الفنا ومسـرح صغير للأداء الشـعري في فقرة 'حكواتيون شـعراء'، وذلك في جمع فريد بيـن أنماط القول الشـعري والفني ضمن قوالب أدائية فنية مسرحية".

الفنـان عبدالرحيـم الأزليـة مـن الحكواتييـن المغاربـة الذيـن كرسـوا حياتهـم لفـن الحكايـة، ولازمـوا فضاء ساحة جامع الفنا بمراكش، والتي ألهمت العديد من الكتاب العالميين الكبار أمثال خوان غويتيسولو، فهذا التراث اللامادي الإنسـاني المغربي شـكل مصـدر إلهام للعديد من الشعراء والفنانين المسرحيين والموسـيقيين كمـا صنفته اليونسـكو كتراث شفوي للإنسانية.

وخـاض الفنـان عبدالرحيم المقوري تجربة عالمية مع هكتور أورين الذي يعدّ واحدا من أشـهر الفنانين الإسبان في فن القـول، إلـىٰ جانب انفتاحـه علىٰ تجربة الإبـداع المغربي، كما فعـل مع نصوص أحمـد بوزفور وحسـن نجمـي وآخرين، واختـار فـي البدايـة أن يقدّم مـع ابنته الحكواتية الفنانـة حجيبة المقوري أداء حواريا ثنائيا. فاستعادا معا سحر ساحة جامع الفنا كمكان جامع للأداء الشـعري الفني في قالب شـعري وحـواري لينتقل بعدها إلىٰ استعادة المكان والمدينة، في نـص طويل برع الفنان الأزلية في تقديمه بجسد الحكواتي وروح الشاعر.

وخاضـت الحكواتيـة حجيبـة إلىٰ جانب والدها تجربة فريدة حيث تستلهم مـن تجربته أسـرار الأداء، وحفظ العديد من الحكايات والسـير، مع اختيار لمسة شخصية تحافظ من خلالها علىٰ تميزها، كصـوت نسـائي يحمـل تراثـا لاماديا مشـبعا بمحكيات عنترة بن شـداد إلىٰ جانـب شـعراء وشـخصيات تاريخيـة ومتخيلة، نسـجت خلالها الفنانة حجيبة من "شـعرية" الحكايات والحس الأدائي الرفيع لحظة شعرية ومسرحية رفيعة.

فضاء دار الشعر بمراكش تحول في «حكواتيون شعراء» إلى ساحة مصغرة من جامع الفنا ومسرح صغير للأداء الشعري الفني

واختار الفنان المسـرحي والشـاعر المغربـي السـعيد أبوخالـد فضـاء دار الشعر بمراكش ليسـتعيد صوت الشاعر الـذي سـكنه طويـلا، وهو الذي شـارك سـابقا في العديد من الأفلام السينمائية والمسلسـلات الدراميـة، فتفاعـل هـذه المرة مع فقرة "حكواتيون شـعراء" علىٰ طريقة "الممثل الشاعر" عبر نص شعري طويـل، يبوح بأسـرار "مراكـش"، أقرب إلىٰ مونولوغ شـعري مفتـوح أتت كفقرة متناغمة بين رواة الشعر والحكاية.

وأصر الحكواتي المغربي عبدالرحيم الأزليـة علـىٰ أن يهـدي في نهايـة لقاء "حكواتيـون شـعراء" لعشـاق الشـعر والفرجـة محكيـة "لقالق غويتسـولو"، ضمن مشروع كان قد انفتح خلاله الأزلية علىٰ نصوص لمبدعين مغاربة وعالميين.

سـرد محكي شعري مشـبع بالخيال، وأداء فنـي يكتمـل فيه أداء الجسـد مع نبرة وإيقاع الصوت وفنون المسـرح مع تتبّع لنبرة الحـروف في جذب للإنصات. هذا ما علمته ساحة جامع الفنا لفنانيها، من الشرقاوي مول الحمام إلىٰ عبدالرحيم الأزلية وباريز وآخرين.

سرد مسرحي شعري مشبع بالخيال